

تاس

♦ ليلي أحمد ♦

حلّمة صدري الأيسر تؤلني. جلدها الرقيق على الأطراف يتمزّق. سرتُ في الغرفة، أدور حول نفسي، ثم ذهبتُ إلى حيث قناني العطور ومستحضرات التجميل. التقطتُ كريماً طيباً أشار عليّ الطبيبُ به. فتحتُ غطاءه، فاندلقتُ عبر رأسه كثافةً بيضاء. دهنتُ به مكانَ الألم. شعرتُ ببعض البرودة، وما لبثتُ أن تسلّلتُ الطراوة إلى لحمي.

الثدي الأيمن أيضاً يشكّني... كمن زرع تحت أطرافه عشرات الدبابيس. لم يتمزّق جلده بعد. أعرف أنه نبوءة انفجار الحليب في صدري البكر. مسحته بنعومة بقطنه مبلّلة بمحلول معقم، ثم أمررتُ فوطه مغموسة بماء دافئ، وألقتُ الثدي لفمه الجائع. في البدء دغدغني امتصاصه، وما لبثتُ أن شعرتُ بقشعريرة.

لماذا لا تتنابنى إثارةً جنسيّة، مع أن هذا الرضيع على تماسٍ مباشر مع أعضائي الحميمة؟ هل إدراكي أن هذا المصّ أتر من رضيعي عطلّ لديّ كلّ قدراتي الغريزيّة؟ أم أن ثديي ميّت غريزيّاً؟

أه... ما الذا هذا التعامل العذب والرقيق والمسترخي. لا أذكر أن زوجي تعامل بهذه الرقة مع أعضائي. كنتُ أعيش معه حرباً غير معلنة، ساحتها الشرسة هذا السرير الذي أكرهه. إنه يذكرني بعنقه، وإن لم يقصد، بقسوة حركة أصابعه، وإن لم يقصد، وبالية تعامله مع كل شيء. مع الدولاب المكسور، أو مع جهاز رديء. هذه الرقة المفرطة في مصّ الرضيع لثديي جعلتني في حالة أمانٍ نفسي، إذ إنني لا أتوقّع منه أن يؤذيني.

أشعر بخيوط الحليب تتسرّب من أوردته صغيرة ودقيقة في صدري المعبأ به، ويتدفّق إلى فمه. عندما عصرتُ الثدي أوّل مرة لاستفّزه لدرّ الحليب، أتت القطرات شفافة تقترب من اللون الأبيض؛ تذوّقتها بغمي. كان حليبي دافئاً، وفيه القليل من السكر. ألقتُ الثدي لفم رضيعي. الرقة الآن تذكّرني بعكسها.

كنتُ أتبرّع له همساً بمتطلباتي: «ألك أن تتخيّل سقوط ورقة من زهرة جورية يانعة؟ تسقط الورقة. ولكن قبل أن تصل إلى الأرض، أنظر إليها؛ إنها تلاعبُ الهواء، وتتقلب فيه. كن لي الهواء... إلسني مثله.»

بمجرد أن يغمض عينيه ويغيب، تعود إليه غلاظته. أوقظه: «حسناً.. خذ هذه الوردة.. تعال أقربها إلى شفّتيك.. مروراً لطيف.. يمّس ولا يمّس.. تحسّس رقّتها.. قبلني هكذا، بهذه النعومة. أشعرني بها. وستكون النتائج مذهلة.» ولكنه يقبض بشفّتيه القاسيتين على شفّتي، ويلوكلهما.. وجعاً.

«إسمعني.. أوقظ حواسك.. أذنيك.. أسمعني صوتك همساً.. غارلني.. إسمع طاقة صوتي.. ساهمس لك بلغة لا تفهمها، لتتلفّد بيحة صوتي...» وحين يبدأ، أسمع صوتاً عالياً يشبه صرخاته في المطبخ. «تخيّل أننا نسير تحت المطر، والسماء ملبّدة بالغيوم، وسرعان ما تمطر، وينقر الماء على المظلات برقة. إسمعها.. كأنها تغازلها. كُن لي مظلة تُشعرني بطراوة المطر، وتشممني رائحتها.. دون أن تبّلني...» لكنه لوى رأسي بحركة عنيفة واحدة من يده. فتحتُ عيني فرعاً، فرأيت شفّتيه الغليظتين آتيتين نحو عنقي. آآآي..

«لا تمصّ رقبتي أرجوك. لا تعضّني. العفني. امسح لسانك، ومرّر شفّتيك. إن شفّتيك تشفطان لحمي بعنفٍ موجه..

أه..

«عاملني بأطراف أطراف أصابعك. مرّها على ظهري، فصدري، فبطني. إنني أتكهرب بهذه اللّدة. لا تمسك صدري بعنف، لا تعصره بقوة. آآآي.. إنني أصرخ من الألم لا من اللّدة كما توهّم نفسك. إنني أتألم، وكلّ جسدي في حال دفاعٍ

♦ كاتبة كويتيّة من أصل إيراني، تعيش في الإمارات العربيّة المتحدة.

«نعم.. أنا معك.. أحبّ العنف أحياناً.. عنف لذيذ يمنحني إحساساً بقوّتك، ورجولتك.. عنف محسوب بهيّجني.. لا يصنّف.. ولا يشدّ شعري، ولا يلوي عنقي وذراعي.»

الصغير يمصّ الحليب. أشعر بنشوة. إنني في قمة الكمال الإنساني، أدفع هذا اللحم الصغير إلى الحياة. إنّه خفيف وصغير. قبل أن ألقمه ثديي، تحمّمتنا سوياً. ألصقته بعُرِّي.. وتحت الماء والصابون أصبحنا واحداً. فيما بعد، رششتُ جسده ببودرة أطفال أحبّها.

«لا ترم بثقل جسّدك عليّ. عظامك ثقيلة، وجسدك كبير. أحظني يا حبيبي بذراعيك. أسندْ كوعيك إلى السرير حول رأسي، حارسين لي. لا تحمّلي ركبتيك الثقيلتين، أسندهما إلى السرير، ودعْ شهوةً جسّدك تصعد وتهبط فوقني.»

«.. صبّ هذا العسل على نهديّ وبطني: العفني، إنْ ذلك يثيرني. تعال لأطريّ جسّدك، سأضع لك من هذا الزيت العطريّ.. سأسكّر برائحته.. وأجلس عاريةً فوقك، مستندةً إلى ركبتيّ على السرير. وأدلك بزحلقة مؤخّرتي وصدري عليك. سأشمتك.. أطلني بهذا الكريم المعطر. دلّني بأطراف أطراف أصابعك. صبّ حرارتك فيها. لا تعاملني بأصابع غليظة، تترك مساراتها على جسدي وأعانيها ليومين.. أنظر.. أنظر...»

يحرك الرضيعُ رجليه في حضني، ويلعب يده اليمنى في الهواء، بعد أن رضع.. وشبع. مطّ رأس حلمتي.. وسحبها للخارج. أوجعني جداً. كتمتُ صرخة عذابي في قلبي.
تُشبه صرخاتي المكتومة لأبيه!

الإمارات العربية المتحدة

من قصص العدد القادم

■ ميرا الكعبي: ابتسم للصورة

■ معن محمد حمزة: أنا لست بأميرة صغيرة

■ أحمد سليمان: قد طلعت شمس الغد

■ عبد الستار ناصر: حماري وأنا